تأثير الفلسفات القديمة والوسيطة على تطور الفكر الاجتماعي

طالب الدراسات العليا: أسامة رافع – كلية الآداب – قسم علم الاجتماع – جامعة دمشق

الدكتور المشرف: ماجد أبو حمدان

الملخص

يتأثر التفكير في الظاهرة الاجتماعية بالأطر والحوادث الاجتماعية التي تحصل في المجتمع، حيث يعدّ التغير الاجتماعي بمثابة المحرك للفكر والخيال والإبداع، وذلك على العكس مما يحدث في المجتمعات الأكثر سكوناً، فإنها تحافظ عموماً على منظومة ثابتة نسبياً من التنظيمات والقوانين والمبادئ الاجتماعية والدينية، التي تتشكل على هيئة أعراف وتقاليد.

تعالج هذه الدراسة أهمية الفكر الفلسفي والاجتماعي اليوناني القديم، وأثره في خلق النظرة الثنائية للعالم، والمستمدة بشكل خاص من أفكار كل من أفلاطون وأرسطو. ويستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، للوقوف على نمط الحياة العقلية التي سادت تلك المرحلة، وسمحت بدراسة وتحليل النظم السياسية والاجتماعية والدينية، لتزرع بذور العديد من النظريات والمواقف الاجتماعية والسياسية المعاصرة؛ حيث يعدّ الإرث الفكري لكل من أفلاطون وأرسطو إرثاً عميقاً ومتجذراً في الوجدان الإنساني؛ وقد امتدت جذور أفكارهما لاحقاً لتنبت في كتب اللاهوت المسيحي ومؤلفات الفلسفة الإسلامية، حيث تمكّنَا من رسم تاريخ الحضارة الغربية بوصفه حالة من الصراع بين طريقتين لرؤية العالم والكون والإنسان. ويمكن تشبيه الموقف الأرسطي اليوم بأنه يمثل رؤية أصحاب مشاريع تطوير التطبيقات الذكية والتكنولوجية كالتجارة الالكترونية (على غرار كتاب السياسة) الهادف لتمكين الإنسان من مواجهة واقعه والتحكم فيه، فيما يدافع أصحاب الموقف الأفلاطوني المعاصرون عن البيئة وطبقة الأوزون وسلامة الكوكب، للوصول إلى عالمهم المثالي (على غرار كتاب الجمهورية). فالأفكار التي زرعت قبل ما يزيد على ألفي عام، لا تزال تنمو وتتفرع في مجتمعاتنا المعاصرة حتى اليوم، وتؤثر على دراسة المجتمعات والنظريات المختلفة في ميادين العلم كافة، على رأسها علم الاجتماع.

الكلمات المفتاحية: فلسفة، السفسطائية، سقراط، أفلاطون، أرسطو، أوغسطين، توما الأكويني.

Research Summary

Thinking about the social phenomenon is affected by the social frameworks and incidents that occur in society. Social change has always been considered a main driver of thought, imagination and creativity. As for the quieter societies, they generally maintain a relatively stable system of organizations, laws, and social and religious principles, which are shaped in the form of customs and traditions.

This study deals with the importance of ancient Greek philosophical and social thought, and its impact on creating a dualistic view of the world, derived in particular from the ideas of both Plato and Aristotle. The researcher uses the descriptive analytical method to find out the mental lifestyle that prevailed at that stage and allowed the study and analysis of political, social and religious systems, to sow the seeds of many contemporary social and political theories and positions. The intellectual legacy of both Plato and Aristotle is deep and rooted in the human conscience; The roots of their ideas later extended to sprout in the books of Christian theology and the writings of Islamic philosophy, where they were able to paint the history of Western civilization as a state of conflict between two ways of seeing the world, the universe and man.

The Aristotelian position today can be likened to representing the vision of the owners of smart and technological applications development projects such as electronic commerce (similar to the book of politics) aimed at enabling man to confront and control his reality, while the contemporary Platonic position advocates the environment, the ozone layer and the safety of the planet, to reach their ideal world (on Similar to the Republic book).

Keywords: Philosophy, Sophism, Socrates, Plato, Aristotle, Augustine, Thomas Aquinas.

مقدمة:

بدأت الفلسفة، باعتبارها متميزة عن اللاهوت، في اليونان إبان القرن السادس قبل الميلاد، ورغم أنها قطعت شوطاً كبيراً في العصر القديم بعد التمهيد لظهور المناهج العقلية والتجريبية، إلا أن اللاهوت عاد فغمرها حين قامت المسيحية وسقطت روما؛ حيث باتت السيادة على الفلسفة، في ثاني عصورها العظمى، من نصيب الكنيسة الكاثوليكية (خاصة بين القرن الـ 11 والقرن الـ 14)، أما المرحلة الثالثة من مراحل الفلسفة، وهي المرحلة الممتدة من القرن الـ 17 إلى الآن، فيسودها العلم كما لم يسد من قبل (أنظر: رسل، 2010، أ، 15-16).

يعدّ كل من أفلاطون Plato وتلميذه أرسطو Aristotle أعظم فلاسفة ما قبل الميلاد، وكان لإسهاماتهما أعظم الأثر في كل ما تلاهما من فكر فلسفي واجتماعي، وما يميز هذا الأثر الثنائي لهما هو اختلافهما المنهجي الذي أسس لاحقاً لثنائيات الفكر والفلسفة، من خلال المثالية الأفلاطونية والتجريبية الأرسطية.

إن النظرة الثنائية إلى العالم، قدّمت للفكر البشري أول مناظير العقل المتعدد، وهو العقل القادر على إدراك المزيد من جوانب المشكلات المعرفية المطروحة، وعلى الرغم من تعصب بعض المفكرين لهذا الجانب أو ذاك، إلا أن ثنائية الأرض والسماء أثبتت قدرتها على تصحيح مسارات الفكر وانحرافاته، ليس بوصفها ثنائية الخيارين فقط، بل بوصفها مذهباً لتعدد مسارات الفكر والمعرفة، فالصراع التاريخي بين المادية والمثالية أنتج العديد من وجهات النظر الخصبة والغنية، مما سمح بدراسة مختلف النظم الإنسانية: فكرياً وسياسياً واجتماعياً، ومحاولة الوصول المستمر إلى الحقيقة.

إن تناقضات الأستاذ وتلميذه تجسدت إبداعياً فنياً من خلال لوحة الفنان الإيطالي رافائيل Raphael الذي خلّد شخصية هذين المفكرين وهما محاطان بالفلاسفة والعلماء، وبينما كان أفلاطون يشير بيده إلى السماء، فإن أرسطو كان يشير إلى العالم، للدلالة على اختلاف منهجية أحدهما عن الآخر، الطوباوية والعملية أو فلسفة الأرض وفلسفة السماء (Duignan, Invalid Date, www.britannica.com).

أولاً- مشكلة البحث:

تعدّ الفلسفة الاجتماعية واحدة من أبرز النتاجات الحضارية للثقافة الغربية بدءاً من العصر اليوناني القديم وحتى الآن، وقد شهدت الفلسفة الاجتماعية تطورات هائلة وتفرعت عنها تخصصات مختلفة، مما أسهم في إغناء الفكر الاجتماعي، وانعكس إيجاباً على المفكرين الاجتماعيين عموماً، وعلى علم الاجتماع منذ بداية عصر الحداثة الأوروبية بشكل خاص.

بناء عليه، يحاول البحث الإجابة عن التساؤل الرئيس الآتي: كيف أثرت الفلسفة الاجتماعية القديمة والوسيطة على نشوء وتطور علم الاجتماع؟

يتفرع عن التساؤل الرئيس عدد من التساؤلات الآتية:

1- ما تأثير العلم واللاهوت على تطور الفلسفة الاجتماعية؟

2- كيف تطورت الفلسفة الاجتماعية في العصور القديمة؟

3- ما هي أبرز الاختلافات بين فلسفتي أفلاطون وأرسطو؟

4- كيف تطورت الفلسفة ما بعد أرسطو؟

5- ما تأثير فلسفتي أفلاطون وأرسطو على الحضارة الغربية المعاصرة.

ثانياً- أهمية البحث:

تكمن أهمية الدراسة في مايلي:

- تسليط الضوء على تأثير الفلسفة الاجتماعية القديمة والوسيطة على الفكر الاجتماعي حتى وقتنا الراهن؛ فما نطالعه اليوم من أفكار هو بجزء كبير منه حاصل لما زرعه الفلاسفة القدماء في طريقة تفكيرنا، حيث زرع هؤلاء البذور الأولى للمنطق وقدموا الملاحظات الأولى حول الكون والإنسان والعالم، مما جعل بعضاً منهم أصحاباً لثورات الفكر الأولى؛ إذ قلما نجد قانوناً علمياً إلا وقد اشتق من نظرية فلسفية قديمة أو تطور عنها؛ مما يجعل الجانب التاريخي لدراسة فلاسفة العصور القديمة والوسيطة محوراً أساسياً في فهم تطور الفكر والثقافة والمجتمعات الإنسانية عبر التاريخ، خاصة علم الاجتماع.
- النظرة الثنائية المختلفة والمتكاملة لدى أفلاطون وأرسطو، أسهمت في تثبيت رؤية ثنائية للعالم، مما وسّع زوايا رؤية المفكرين في مجالات العلم والثقافة والمعرفة كافة، في لا تزال العديد من الثقافات متمسكة بنظرتها الأحادية المتزمتة، مما يعيق تطور تلك المجتمعات ونموها.

ثالثاً- أهداف البحث:

إن الفلسفات القديمة تحتوي على دليل التفكير النظري القادر على إثراء فهمنا حول الطبيعة والمجتمع والإنسان، فقد نجح الفلاسفة الأوائل في تأسيس القطيعة مع الأساطير من خلال مراقبتهم لمظاهر الطبيعة، ووضعهم لأسس المنهج العلمي، حيث قال جيه دي برنال J. D. Bernal في إشارته إلى أهمية الفلاسفة الأوائل: "الفكر اليوناني، لأسباب تاريخية، يكمن وراء فكر العصور

اللاحقة، ولا سيما نظريات العلوم الحديثة والاجتماعية والطبيعية. إذ لا يمكننا التفكير بعقلانية إلا على غرار ما وضعه لنا الفلاسفة الأوائل" (Bhattacharya, Invalid Date, 1).

وعليه، يهدف البحث إلى مايلي:

1- تتبع أصول النظريات الاجتماعية المعاصرة، من خلال بعض أفكار الفلاسفة الأوائل ونظرياتهم ومناهجهم التي أثْرَتْ الفكر الإنساني على مرّ العصور، وعلى رأسهم أفلاطون وأرسطو.

2- تتبع تطور الفلسفة الاجتماعية من النظريات الكلاسيكية وصولاً إلى نظريات علم الاجتماع الحديثة والمعاصرة.

3- دراسة تأثير الفلسفات الاجتماعية القديمة والوسيطة على الفكر المعاصر.

رابعاً- منهج البحث:

تستخدم الدراسة المنهج االوصفي التحليلي، لوصف جوانب الظاهرة المدروسة وتتبعها الزمني، بغية الكشف عن العلاقة بين جوانبها المختلفة ودراسة تأثيرها في ما تبعها من نظريات وآراء.

خامساً- الفلسفة.. بين اللاهوت والعلم:

تشابكت الأفكار المولّدة للفلسفة عبر التاريخ بجدليات متعددة، حيث تبادلت المنظومات الفكرية الدينية والعلمية أدواراً متعددة من السيطرة، ويرى رسل B. Russell (1872-1970) أن نظرتنا في الحياة وفي المجال الفلسفي وليدة عاملين: الآراء الدينية والخلقية الموروثة من جهة، وطرائق البحث العلمي بمعناها الواسع من جهة أخرى، فيقول:

"فأحب أن أفهم "الفلسفة" على أنها وسط بين اللاهوت والعلم، فهي تشبه اللاهوت في كونها مؤلفة من تأملات في موضوعات لم نبلغ فيها بعد علم اليقين؛ لكنها كذلك تشبه العلم في أنها تخاطب العقل البشري أكثر مما تستند إلى الإرغام" (رسل، 2010، أ، 13).

إن ما يصبو رسل لإيضاحه هو ما عكسه الصراع الفكري على العلاقة بين عدد من العناصر المتنافرة، كالعلاقة بين التماسك الاجتماعي والحرية الفردية من جهة، أو العلاقة بين الدين والعلم من جهة أخرى، وهو صراع خلّف الكثير من التنازع والقلق؛ إنه صراع الثنائيات المستمر منذ قرون طويلة.

أما قبل ذلك فقد كان للتماثل بين الولاء الديني والولاء الوطني، الذي ساد الفكر اليوناني حتى عهد أرسطو دور مهم في تخفيف حالة التنازع والقلق، باعتبار أن النظم الأخلاقية السائدة تتلائم

وحياة المواطنين، لكن منذ أن خضع اليونان للمقدونيين ثم للرومان، لم يعد بمقدورهم أن يحيوا وفق الأفكار التي كانت صالحة لهم أيام الاستقلال، فازدادت لديهم قوة الأخلاق الفردية على حساب الأخلاق الاجتماعية، وذهب الرواقيون The Stoics إلى أن الحياة الفاضلة هي في العلاقة بين الروح والله، أكثر مما هي بين الفرد والدولة، ممهدين بذلك للمسيحية (التي شابهت الرواقية لناحية عدم قيامها على السياسة)، حيث لم يكن لأتباعها خلال القرون الثلاثة الأولى أي تأثير في الحكومة؛ ولم يعد التماسك الاجتماعي، خلال الستة قرون والنصف الممتدة بين زمن الإسكندر Alexander وقسطنطين Constantine، مستمداً من الفلسفة والولاء القديم، بل بات يُفرض بالقوة، قوة الجيوش وقوة الإدارة المدنية (نظام الدولة المركزية)، وهكذا ازدادت أهمية الأفكار اليونانية الدينية على حساب الأفكار العقلية التي لم تعد توافق روح العصر (أنظر: رسل، 2010، أ، 16-17).

أمام هذا الجدل الفكري والأيديولوجي، ومع استمرار هيمنة الكنيسة على الفكر الأوروبي الوسيط، جاء الإصلاح الديني المتحالف مع القوى القومية، ليوجه ضربة قاصمة للكنيسة الرومانية ومن ورائها العناصر الثقافية القديمة: اليونانية والرومانية، ليحد بذلك من نفوذها وتوسطها بين الله ورعيته من المؤمنين، فلا يجوز أن تتوسط قوة على الأرض بين روح الإنسان والله.

وبنتيجة هذا التطور الطويل الممتد من عام 600 ق.م وحتى الزمن الحاضر، كان الفلاسفة، ينقسمون لفريقين: الأول يريد أن يشدّ من الروابط الاجتماعية، والثاني يريد أن يرخي تلك الروابط؛ إنه الصراع بين تيار التدين والجمود العقائدي من جهة، وتيار العلم والحرية من جهة أخرى؛ ويمكن القول إن المدنيات الهامة تبدأ بنظام جامد مليء بالخرافات وتنتهي بعصر يسطع بالعبقرية وهكذا دواليك (أنظر: رسل، 2010، أ، 26-27).

سادساً- الفلسفة الاجتماعية في العصور القديمة:

بناء على ما سبق، يمكن القول إن الفكر الاجتماعي والفلسفي القديم والوسيط، هو سلسلة ممتدة من التفكير العالق بين الخرافات والعبقريات، وهي سلسلة حاول ولتر ستيس W. T. Stace(1886-1967)، توضيحها من خلال تقسيم المحاولات الفلسفية اليونانية إلى قسمين: الأولى يصفها بأنها محاولات فجة لتفكير مبتدئ، أما الثانية فقد اعتمدت على تلك البدايات الفجة وتطورت عنها حتى ذروتها عند أرسطو وما بعده؛ وعليه فإن بدايات التفكير الفلسفي بدأت في القرن السادس قبل الميلاد، عندما حاول بعضهم الإجابة عن سؤال: "ماهو تفسير العالم؟"، أما قبل ذلك التاريخ فلم

يكن هناك سوى الأساطير ولاهوتيات الشعراء، لكنها لم تحتوي على أية محاولة لطرح تفسير طبيعي للأشياء، فبقيت ضمن مجال الشعر والدين لا الفلسفة.

تقسم الفلسفة بحسب ستيس إلى ثلاث فترات:

1- فترة ظهور الفلسفة اليونانية: أي الفترة السابقة على سقراط Socrates، وهي لا تشمل السوفسطائيين الذين كانوا معاصرين وسابقين له.

2- فترة نضج الفلسفة اليونانية: وهي الفترة الممتدة من السوفسطائيين إلى أرسطو، وتشمل سقراط وأفلاطون.

3- فترة إنهيار الفكر القومي: وهي فترة الفلسفة ما بعد أرسطو (أنظر: ستيس، 1984، 26-27).

- **فترة ظهور الفلسفة اليونانية (مرحلة ما قبل سقراط):**

شهدت هذه الفترة ظهور عدد من المدارس الفلسفية، على رأسها **المدرسة الأيونية** التي انحدر ممثلوها من "إيونيا"*، وكان أبرزهم هو **طاليس** Thales (624-550 ق.م)، الذي يعدّ أباً للفلسفة؛ كونه سجل أول محاولة في التاريخ لشرح الكون وفق مبادئ طبيعية وعلمية دون الرجوع للأساطير والآلهة، معتبراً أن أصل الأشياء جميعاً هو الماء، مما جعله يحتل موقعه على قائمة الحكماء السبعة لأفلاطون (Chaliakopoulos, 2021, www.thecollector.com).

أما زميله **انكسماندريس** Anaximander (611-547 ق.م)، فأعاد الأشياء إلى نوع خاص من المادة الممتدة إلى اللانهاية، دون تشكيل أو تحديد أو ملامح (هلامية)، فيما اعتبرت **المدرسة الفيثاغورية**** أن "العدد" هو أصل الكون، فالعالم عندهم مصنوع من الأعداد (أنظر: ستيس، 1984، 32 و 39).

برز في **المدرسة الإيلية***** عدد من الفلاسفة، الذين خطوا الخطوة الأولى على طريق الفلسفة، أولهم مؤسسها **اكزينوفان** Xenophanes (576-480 ق.م)، وهو صاحب مقولة: "الكل هو واحد"؛ التي بنى عليها زميله **بارمنيدس** Parmenides (514-450 ق.م) أسس هذه المدرسة، فاعتبر أن العالم هو عالم التغير والحركة، فالشيء موجود وغير موجود بنفس الوقت، لذا سعى للبحث عن

---

*إيونية: مدينة إغريقية قديمة تقع على الساحل الغربي لآسيا الصغرى على البحر الأبيض المتوسط. وعُرفت هذه المستعمرة بهذا الاسم وقت قيام دولة اليونان القديمة. وهي منطقة تاريخية تقع بالقرب من مدينة إزمير بتركيا. شهدت إيونية ولادة الفلسفة، واستوطن الإيونيون هذا الساحل منذ القرن العاشر ق.م. وهناك ذاعت شهرة هوميروس، الشاعر الذي تنسب إليه ملحمتا الإلياذة والأوديسة منذ القرن التاسع قبل الميلاد.

**سموا بذلك نسبة إلى فيثاغوراسPythagoras (570-490 ق.م).

***اكتسبت هذه المدرسة اسمها من كون مقرها في مدينة ايليا جنوب إيطاليا.

"الثابت" وسط المتغير، وتوصل إلى أن الوجود هو المبدأ الأول للأشياء، كما ميز لأول مرة بين الحس والعقل، أي بين عالم اللاوجود الزائف (الممثل بالحواس) وبين الوجود الحق (الممثل بالعقل)، وهذا هو الموقف الأساسي في "المثالية" التي عدّه بعضهم أباً لها (أنظر: ستيس، 1984، 46-49).

من جهة أخرى كان **هرقليطس** Heraclitus (535-475 ق.م)، معاصراً للإيليين ومناقضاً لهم، فعلى الرغم من إيمانه بأن النار هي أصل الأشياء، إلا أنه انحرف عن الفلسفة السابقة له من خلال تركيزه على الشؤون الإنسانية، ومنها مقولته: "الإنسان لا يستطيع أن يستحم في مياه النهر مرتين"، وهي المقولة الأشهر له والتي حظيت بالعديد من التفسيرات والتحليلات منذ زمنه وحتى اليوم، فقد عدها بعض المفكرين دليلاً على استمرارية الصيرورة، فيما اعتبر آخرون أن الثبات والصيرورة ليسا متعارضين بل مترابطين بشكل وثيق، فاستمرار تدفق مياه النهر هو الفعل نفسه الذي يجعله يحافظ على نفسه كنهر، وإلا لأمسى مجرد بحيرة، وما ينطبق على النهر ينطبق على ذات الإنسان المستحم فيه، ولعل هذا ما جعله يؤمن بالنار مصدراً للوجود، من حيث أنها أكثر الظواهر الطبيعية حركة وتلاشياً، فهي تُظهر الحاجة والشبع من خلال استهلاكها المستمر للحطب، فهي كالنهر تحافظ على خصائصها الثابتة من خلال استمرار حركتها (Graham, 2007, plato.stanford.edu).

وصلت الفلسفة مع هرقليطس إلى ضروب من المبادئ المتصارعة، فكانت مهمة **أمبيدوقليس** Empedocles (495-435 ق.م)، التوفيق بينها وصهرها في مذهب جديد، تمسك خلاله بالجانب المادي؛ حيث صاغ برنامجه الفلسفي عبر شكل يضم ستة عناصر مكونة للكون هي: الهواء والماء والأرض والنار، جنباً إلى جنب مع مبدأين نشيطين هما الحب والصراع (كصراع الماء والنار، أو توافق النار والهواء)، ورغم أن الأخيرين يبدوان كمصطلحين مثاليين، إلا أن أمبيدوقليس تصورهما كقوتين ماديتين، فهما أشبه بدورة كونية متناظرة منقسمة إلى جزأين يكرران نفسهما عبر دورة الحب والكراهية إلى ما لا نهاية، عبر فترات متناوبة من سيطرة الحب والصراع (Kingsley, 2019, plato.stanford.edu).

أما **انكساجوراس**[****] Anaxagoras (500–428 ق.م)، فرأى أن أنواع المادة اختلطت في البداية ضمن كتلة سديمية ممتدة، ثم انفصلت عنها بتأثير قوة غير فيزيائية وغير جسمانية هي "العقل الكلي"، وما سيرورة تشكيل العالم إلا نتاجاً لتجميع المواد المتشابهة مع بعضها بعضاً بعد انفصالها عن الكتلة السديمية (أنظر: ستيس، 1984، 88–89).

شكلت المرحلة السابقة للتفكير اليوناني نقلة نوعية لناحية محاولة تفسير الكون وفق مبادئ طبيعية وعلمية، كالمادة والعدد والوجود. وبما أن أبرز صفات العالم الحسية هي الكم والكيف، فقد اعتبر الأيونيون أن الحقيقة المطلقة كمية وكيفية معاً (المادة)، أما الفيثاغوريون فقد جردوا الكيف من الأشياء، وأصبح الكم هو الحقيقة المطلقة لديهم (العدد)، ثم جاءت الإيلية لتنزع الكم والكيف معاً (الوجود الكلي المجرد)؛ وبهذا تكون الفلسفة قد انتقلت من التفكير الحسي (مع الأيونية) إلى التفكير التجريدي (مع الإيلية) مروراً بالتفكير شبه الحسي عند الفيثاغوريين (أنظر: ستيس، 1984، 61).

إلا أن المدرسة الإيلية كانت صاحبة أول نزعة حاولت تفسير الكون وفق مبدأ واحد، أي "الواحدية" مقابل الثنائية أو الكثرة، وذلك هو هدف جميع الفلسفات: التفسير الواحدي للكون، فإذا انهار المذهب الفلسفي فالسبب دائماً، بحسب ستيس، أنه ثنائية لا تصالح فيها، وغالباً ما تبدأ المذاهب بمبدأ واحد، ثم تواجَه بأشياء لا يمكن أن تندرج تحته، فينفجر المذهب إلى ثنائية؛ وبالتالي إن التفسير الواحدي للأشياء هو اتجاه شامل في الفكر الإنساني الفلسفي والديني وحتى العلمي، فتفسير تجمد الماء بالبرودة، لا يفسر حادثة مفردة بل يردها لقانون عام يفسَر من خلاله تجمد الماء بالمطلق، ومع تقدم المعرفة يجري تفسير الكون بمبادئ تزداد قلة وتعميماً؛ وعليه، فإن إيجاد تفسير الكون يتطلب توفر شرطيين أساسيين: وجود مبدأ مطلق يفسر كل الأشياء في العالم، وقدرة المبدأ المطلق على تفسير ذاته بذاته (أنظر: ستيس، 1984، 62).

- **فترة نضج الفلسفة اليونانية:**

تميزت المرحلة الأولى من الفلسفة اليونانية بأن العقل اليوناني لم يتطلع فيها إلا إلى العالم الخارجي (تفسير عمليات الطبيعة) دون التطلع إلى الذات، فلم ينشغل بالإنسان إلا بوصفه جزءاً من الطبيعة، إلا أن التحول إلى الدراسة الاستبطانية للعقل، وصياغة التناقض بين العقل (غير الجسماني) والمادة (الجسمانية) بدأت مع انكساجوراس، حيث برز العقل معه إلى مقدمة الصورة

[****] ولد في آسيا الصغرى لعائلة نبيلة امتلكت ثروة طائلة، لكنه اهمل أملاكه سعياً وراء العلم والفلسفة، فهجر موطنه واستقر في أثينا، ولم يكن لها قبله أي دور في تاريخ الفلسفة اليونانية، فكان انكساجوراس صاحب الفضل بنقل الفلسفة إليها، لتصبح أثينا منذ أيامه المركز الرئيسي للفكر اليوناني، (أنظر: ستيس، 1984، 87).

كمشكلة فلسفية، وإن إيجاد العقل في كل الأشياء: الفلسفة والفرد والطبيعة الخ، هو ما سيميز المرحلة الثانية من الفلسفة اليونانية، والتي بدأت عند السفسطائيين الذين وجهوا الروح اليونانية نحو الداخل (إلى نفسها) (أنظر: ستيس، 1984، 94).

1- السفسطائية:

حركة فكرية فلسفية نشأت باليونان في نهاية القرن السادس وبداية القرن الخامس قبل الميلاد، في مرحلة بدأ فيها انحسار سطوة فلاسفة الطبيعة، متزامناً مع انحسار الأوليغارشيا (حكم الأقليات) وانتصار الديمقراطية، ليتم التركيز على الإنسان (بدل الكون) والاهتمام به: مكانته، حرية منطقه، مذهبه العقلي، ودوره في المجتمع؛ وبهذا فقد تهيأت الظروف التاريخية لظهور السفسطائيين، الذين توافدوا من المستعمرات الإغريقية واستقروا في آثينا؛ إلا أن التحول الذي أحدثوه في المجتمع الأثيني أثار حنق رجال اللاهوت، بسبب دورهم التعليمي والمعرفي ومعاداة الدين، مما جعلهم يتلقون موجة من الغضب والتشويه واتُهموا بأنهم السبب وراء غضب الآلهة، حيث خيمت على الشعب اليوناني موجة من العقلانية والشكية، فانتُقدت العادات والأخلاقيات السائدة التي سيطرت على دوافع الإنسان الطبيعية (أنظر: نبهان، 2017، www.raialyoum.com).

يُعرف عن السفسطائيين بأنهم كانوا فئة محترفة ومتناثرة، لم تشكل مدرسة ولا مذهباً، لكنها اعتمدت على الإقناع واستعمال قوة الخطابة والبلاغة والجدل، لتدريب الناس على أن يكونوا مواطنين ناجحين، وتبعاً لذلك فقد دلت لفظة "السفسطائي"، بادئ الأمر، على ما يمكن وصفه بالأستاذ حالياً، لكن كنتيجة للنزاع الديني–الفلسفي، هُوجمت تلك الحركة وخرجت عن معناها الأصلي لتصبح مرادفاً للعلم الزائف وعنواناً للمغالطة والجدل العقيم.

وكان أفلاطون وأرسطو وأرستوفانيس Aristophanes، أبرز من هاجموا السفسطائيين وحقروهم، وكذلك فعل عدد من فلاسفة المسيحية والإسلام؛ في المقابل، اعتبر المؤيدون لتلك الحركة أن الأفكار السفسطائية شكلت فتحاً نوعياً في الميدان الاجتماعي، وأدت لتحرر العقل من قيود الأساطير وعبودية الخرافة، فكانوا أقرب إلى "الليبرالية" واحترام الإنسان (أنظر: عواجي، 2017، 7).

فالسفسطائية قامت أساساً على مبدأ الشك بالموجودات والقيم والآلهة، فلا وجود لحقيقة ثابتة لديهم؛ ومن أشهر مفكري السفسطائية، بروتوغوراس Protagoras (480–411 ق.م)، الذي اشتهر بنظريته النسبية: حيث أن المعرفة لا يمكن أن تكون موضوعية لأنها تتغير من فرد لآخر،

وجورجياس Gorgias (485–380 ق.م)، الذي ألّف العديد من الكتب في المنطق والخطابة، وأكد، كما بروتوغوراس، على أن الإنسان مقياس كل شيء (أنظر: عواجي، 2017، 26–27).

طبق السفسطائيون المتأخرون تعاليم بروتوغراس على مجالي السياسة والأخلاق، ولعل هذا الأمر هو ما جعلهم يكتسبون صورتهم السلبية، حيث آمنوا بنسبية الحقائق كالأخلاق والعدالة، وبهذا بات اللجوء إلى القانون عندهم مسعى للضعفاء في مواجهة الأقوياء، واللجوء إلى الدين (الآلهة) فهو مسعى للحكام في السيطرة على الشعوب، وبهذا اعتبرت الفلسفة السفسطائية مدمرة للدين والأخلاق والعادات الاجتماعية، لصالح الأخلاق والقيم الفردية.

2– سقراط (470–399 ق.م):

هو أحد أشهر فلاسفة اليونان، وقد جعله أفلاطون ناطقاً بلسانه، وأصبغ عليه صفات عالية من الشرف والصبر والتزام المبادئ الرفيعة، بعد أن صوره بهيئة الإنسان الزاهد والمحتمل للجوع والبرد وشهوات الجسد، لاسيما وأنه سار إلى الموت بقدميه ولم يجزع من احتساء السم والمضي نحو عالمه الأبدي، ليصبح رمزاً للموت من أجل الحقيقة.

ظهر سقراط في حقبة انهيار الحقيقة والأخلاقيات بتأثير السفسطائية، فعمل على استعادة النظام وإعادة السوية في الحياة الثقافية المفككة، مهتدياً بصوت باطني علوي "صوت الشيطان" (ستيس، 1984، 113). كما أظهر بغضاً "للديمقراطية الأثينية" المحكومة بالغوغاء، لذا أكد على ضرورة أن تكون الدولة تحت إدارة "الحكماء" (ستيس، 1984، 117).

أما تعاليم سقراط فجاءت أخلاقية في جوهرها وتدور حول مشكلة الإنسان وواجباته، حيث نحى جانباً المشكلات المتعلقة بأصل العالم وطبيعة الحقيقة المطلقة، معتبراً أنها تأملات بلا قيمة بالنسبة للمعرفة الأخلاقية ومعرفة الإنسان؛ وقد أسس سقراط معرفته على العقل، فالمعرفة عنده تقوم على "المفاهيم" (ستيس، 1984، 124).

وبذلك يكون سقراط مؤسساً للفلسفة الأخلاقية قولاً وعملاً، فقد بذل حياته في محاولة إيقاظ الفضيلة في نفوس الناس وتوليد معرفتهم الذاتية بطبيعتهم البشرية وجوهر العالم الذي يعيشون فيه، لتبق مقولته الأشهر: "أيها الإنسان، اعرف نفسك" واحدة من أقوى الصيحات الفكرية عبر الزمن.

3– أفلاطون (429–347 ق.م):

ولد أفلاطون في أثينا من عائلة أرستقراطية، واحتقر الحرية والديمقراطية بحكم منزلته الاجتماعية ورفضه حكم الغوغاء، إلا أن عودة الحكم الأرستقراطي على يد الطغاة الثلاثين جعلته يستاء من الديمقراطية والأرستقراطية معاً، ويعدّ أفلاطون، برأي الكثيرين، أول شخص في التاريخ يبدع مذهباً

شاملاً وعظيماً في الفلسفة، حيث اتخذت كتاباته شكل المحاورات وكان سقراط يشغل معظمها، فعرض فلسفته بلسان معلمه.

تعدّ نظرية المُثل حجر الزاوية في فلسفة أفلاطون، ومنها اشتق جميع آرائه في الوجود والأخلاق والمجتمع، ولما كان سقراط قد ربط أي فعل مع مفهوم الفضيلة للتأكد إذا ما كان الفعل فاضلاً، فإن أفلاطون حوّل المفهوم إلى "جوهر ميتافيزيقي" (وبهذا لم يعد المفهوم مجرد فكرة في العقل، بل بات شيئاً له حقيقته الخاصة به) (ستيس، 1984، 158).

تقوم الحقيقة عند أفلاطون على المطابقة بين أفكار الإنسان وحقائق الوجود (المُثل)، فمثال الجمال، موجود خارج العقل ومتميز عن كل الأشياء الجميلة، إنه حقيقة مطلقة ذات وجود كلي قائم بذاته، وبالتالي فالمفاهيم هي نسخ عن المثل الثابتة وغير الفانية وغير المحددة بالمكان أو الزمان، فالجمال خالد أما الأشياء الجميلة فهي تعبيرات متعددة عنه.

يترتب عن هذه النظرية الشاملة للمثل، وجود مصدرين للتجربة الإنسانية هما:

- الإدراك الحسي: موضوعه عالم الحس، الزائف والفان والمحدد بالزمان والمكان.
- العقل: موضوعه عالم المُثل، الحقيقي والمطلق وغير المتعين بالزمان والمكان.

(أنظر: ستيس، 1984، 165).

والمُثل لا تشمل الأخلاقيات فقط (كالجمال والعدالة)، بل هناك مُثل للقبح والظلم وحتى القذارة والروث؛ ومُثل الأشياء الوضيعة لها نفس كمال مُثل الخير والجمال (أنظر: ستيس، 1984، 168).

من جهة أخرى، فقد بنى أفلاطون دولته أيضاً على نظرية المثل، ويعدّ مؤلفه "الجمهورية" منهجاً حقيقياً للفلسفة الاجتماعية، حاول من خلاله دراسة اضطرابات المجتمع والبحث عن علاج لها، إذ يرى وجوب تنظيم البلاد بطريقة مدروسة وثابتة، مع ضرورة تحديد النسل للحفاظ على التوازن الاقتصادي والسياسي.

وبما أن النفس عنده تنقسم إلى: الرغبة والقلب والعقل، يقابلها فضائل: الاعتدال والشجاعة والحكمة؛ فلابد أن يتماثل توازن الروح الإنسانية مع توازن المجتمع، ويكون ذلك من خلال تقسيمه إلى ثلاث طبقات: طبقة الصناع (الشعب)، طبقة المحاربين، وطبقة القضاة والفلاسفة (الحكام) (أنظر: بوتول، د.ت.ن، 11).

اعتبر أفلاطون أيضاً بأن الاضطرابات السياسية تنشأ نتيجة اختلاف المفاهيم السيكولوجية بين الأجيال، ولتوحيد هذه المفاهيم، أفرد أفلاطون بحثاً مطولاً حول التعليم، فأوجب تعلم الموسيقى (تشمل الثقافة والفنون) والألعاب الرياضية، كغذاء للروح والبدن. إلا أنه أكد على فرض رقابة شديدة على ما

يتم تعليمه، فلا يُسمح للأمهات أن يقصصن على أطفالهن إلا قصصاً اعتمدتها السلطة، كخلق الآلهة للخير دون الشر، وبذل النفس في ساحات القتال، مع تحريم موسيقى الأسى والانحلال (أنظر: رسل، 2010، أ، 191). كما كان له آراء عديدة حول طرق تربية الأطفال في مؤسسات الدولة بعد إبعادهم عن عائلاتهم، مع السماح باللقاءات الجنسية خارج أطر الزواج، شرط أن يكون الإجهاض أو قتل الوليد الحاصل عنه إجبارياً لتثبيت تعداد السكان في الدولة.

4- أرسطوطاليس (384-322 ق.م):

ولد أرسطو في مستعمرة يونانية، وشهد التنازع بين المدن وضعف بلاد اليونان، انتقل بعدها إلى أثينا حيث بدأ دروسه العلمية والفلسفية والأدبية وتتلمذ على يد أفلاطون. ويعدّ مذهبه تطوراً للأفلاطونية، وهو، بحسب ستيس، "أعظم الأفلاطونيين"، فمذهبه مؤسس على المثال، إلا أنه سعى لتأسيس مثالية متحررة من نواقص مذهب أفلاطون (أنظر: ستيس، 1984، 213).

وأرسطو، كما يقدمه رسل، فيلسوف عظيم جاء في ختام الفترة المتميزة بالأصالة من تاريخ الفكر اليوناني، ثم مضى ألفا عام قبل أن ينجب العالم فيلسوفاً يمكن أن يدنو منه مكانة، فنفوذه أوشك أن يبلغ نفوذ سلطان الكنيسة، وبات، في العلم والفلسفة معاً، عقبة في سبيل التقدم؛ ومنذ بداية القرن الـ 17 كان لابد لكل خطوة من خطوات التقدم العلمي أن تبدأ بالهجوم على رأي من الآراء الأرسطية (أنظر: رسل، 2010، أ، 261).

أما في السياسة، فقد اتفق أرسطو مع أفلاطون بجعل "الفضيلة والسعادة" موضوعاً للدولة، فالإنسان "حيوان سياسي بالطبيعة"، ومهمة الدولة تقديم التربية على الفضيلة وإتاحة ممارستها، إلا أنه تميز عن معلمه بجعل الأسرة سابقة "زمنياً" (وليس فكرياً) على الدولة (أنظر: ستيس، 1984، 262).

فالأسرة مثل الفرد جزء حقيقي من الكل الاجتماعي ونظامها يقوم على أساس فلسفي وليس عاطفي، رافضاً بذلك "محو أفلاطون الأسرة لصالح الدولة" (ستيس، 1984، 264) كونه يشكل ضربة للجزء الجوهري في تنظيم الدولة. أما شكل الدولة عند أرسطو فيرتبط بظروف البلد والعصر، فليس ثمة دولة مثالية صالحة لكل مكان وزمان.

إن إنسان أرسطو "مدني" بالطبع ويميل للعيش في جماعة، لحفظ ذاته وأمنه وتحقيق وجوده المادي في ظل القانون والعدالة والتربية الفاضلة؛ وبالتالي فوظيفة الدولة هي تحقيق سعادة المواطنين في ظل حياة اجتماعية كاملة وسليمة. أما أشكال الحكومات فتتوزع في فئتين: الصالحة وتضم

(الملكية، الأرستقراطية، الدستورية)، أما الفاسدة فتضم (الديموقراطية، والأوليغارشية، المستبدة) (أنظر: أبو ريان، ب.ت.ن، 229).

بناء عليه، إن غاية الدولة عند كل من أفلاطون وأرسطو هي تربية المواطنين في مجتمع يقوم على المبادئ الأخلاقية، إلا أنهما اختلفا في تفسير مفهوم الدولة والأصل في قيامها. فقد جعل افلاطون الحكومة قائمة على أساس "نفسي- ميتافيزيقي" يصلح لكل زمان ومكان، فربط الأخلاقي والسياسي بالحقائق المثالية المتعالية (أنظر: أبو ريان، ب.ت.ن، 235). فيما تعامل أرسطو مع فكرة الدولة بطريقة أكثر واقعية، استمدها من واقع التجارب السياسية والتاريخية، فشكل الحكومة عنده تقتضيه الظروف الخاصة بكل مدينة، رافضاً تحديد الصور المثلى للمجتمع.

- **الاختلافات الرئيسية بين فلسفتي أفلاطون وأرسطو:**

على الرغم من تعدد اللقاءات بين أفكار أفلاطون وتلميذه أرسطو، إلا أنه ثمة عدد من الاختلافات الرئيسية بينهما:

1- المثُل:

ألصق أفلاطون صفة "المثالية" بمثله العليا الموجودة خارج المكان والزمان، قاصراً معرفتهم على العقل وليس الخبرة الحسية، فمثال الجمال هو الجمال المثالي، والسواد هو السواد المثالي. أما أرسطو فرفض الفصل بين المثُل والأشياء، فالجمال هو المثال الجوهري للحصان الأسود أو الأبيض أو البني، فالجمال قد يكون مثالاً جوهرياً لأشياء متعددة، لا مثالاً مستقلاً عنها.

2- الأخلاق:

غاية الأخلاق عند معظم الفلاسفة الأوائل هي تحقيق السعادة، وهي تكتسب من خلال الفضيلة، وهنا نجد أفلاطون يتحدث عن فضائل الشجاعة والتقوى والاعتدال، التي تتأتى من خلال "امتلاك المعرفة" وبهذا فالفلاسفة فقط هم أصحاب الفضيلة الكاملة (Duignan, Invalid Date, www.britannica.com). أما أرسطو فقد ربط السعادة بالتفكير، مؤكداً على الفضائل الفكرية "الحكمة والفهم" (Duignan, Invalid Date, www.britannica.com).

3- السياسة:

بين "الجمهورية" و "السياسة"، اختلفت آراء ومواقف هذين المفكرين العظيميين، فقد انتقد أفلاطون الحكم الديمقراطي، واقترح دستوراً مختلطاً من "الملكية والديمقراطية" (Duignan,

Invalid Date, www.britannica.com). فيما اعتبر أرسطو أن "الإنسان حيوان سياسي" أي أنه يشكل مجتمعاته السياسية بشكل طبيعي (Duignan, Invalid Date, www.britannica.com)، وبهذا يختلف نظام الحكم الأمثل بين مجتمع وآخر.

- **فترة الفلسفة ما بعد أرسطو:**

يعدّ أرسطو آخر عظماء عصره، فقد أخذ الفكر بعده بالإنهيار نتيجة التطورات السياسية والاجتماعية والأخلاقية، حيث استمر الطغاة بحكم المدن اليونانية بعد وفاة الإسكندر، ولم تنقض عدة سنوات حتى باتت اليونان بمعظمها مجرد إقليم روماني، فكان من الطبيعي أن تنهار الفلسفة بدءاً من الإسكندر، نتيجة لموت الفضول، أو "الدهشة" بلغة أرسطو (ستيس، 1984، 276).

ومع إفساد الدين اليوناني حلت الفلسفة مكانه متخذة بعداً أخلاقياً مرتكزاً على الذات، ومهملة النظر إلى الكون وألغاز ظهوره، فلم يعد ثمة مذاهب كلية شاملة كمذهبي أفلاطون وأرسطو، بل سيطرت فلسفة الأخلاق وبلغت ذروتها عند المدرسة الرواقية التي جعلت واجبها مراقبة الذات، كما تم إحياء المذاهب القديمة لهرقليطس وديمقريطس، وأعيد تنظيم أفكارهم في ترتيب مختلف لم يقدم أي جديد، لتنتهي بعدها النزعة الذاتية عند الرواقية والأبيقورية، إلى "نزعة شكية" عند بيرون Pyrrho (360–275 ق.م) وأتباعه (أنظر: ستيس، 1984، 278).

أما الأفلاطونية الجديدة، فقد أسسها أفلوطين Plotinus (205–270 م)، وأدرجها عدد من المفكرين ضمن حقبة العصور الوسطى، وذلك كونها تأسست بعد خمسة قرون من المدارس اليونانية السابقة: الرواقية والأبيقورية والشكية، كما أن مقرها بدأ في الإسكندرية؛ إلا أن إدراج هذه المدرسة في فلسفة العصور الوسطى لا يتناسب مع فكر تلك المرحلة، فهي ليست فقط غير مسيحية، بل إنها مضادة للمسيحية أيضاً؛ فقد مثلت إحياءً للروح الوثنية وحملت الأنفاس الأخيرة للثقافة اليونانية القديمة، فاعتبرها آخرون بأنها آخر المدارس اليونانية.

تمحور جوهر الأفلاطونية الجديدة في نظريتها عن "الارتفاع الصوفي للذات إلى الله"، حيث ترغم الذات على أن تصبح "مركزاً للكون"، بعد أن يُحيد العقل نهائياً وتحل المعجزات مكان التفكير؛ وعليه كان من الطبيعي أن تنتهي الفلسفة هنا، فإعلاء الحدس على حساب العقل كان قتلاً للفكر (أنظر: ستيس، 1984، 306). يقول ستيس:

"لهذا فإن الفلسفة القديمة بالأفلاطونية الحديثة تكون قد انتحرت، وهذه هي النهاية. وهنا يحتل الدين مكان الفلسفة. إن المسيحية تنتصر وتكتسح كل تفكير مستقل من طريقها. ولا تعود هنا فلسفة

إلى أن يتنفس الإنسان روحاً جديدة للبحث والدهشة في عصر النهضة وحركة الإصلاح" (ستيس، 1984، 307).

وكان اليهود قد بشروا بالمسيحية أول الأمر باعتبار أنها العقيدة اليهودية التي دخلها الإصلاح، إلا أن القديس بولس أنشأ العديد من الجماعات المسيحية من المرتدين عن اليهودية ومن غير اليهود، بعد أن استبْق النواحي اليهودية الجذابة واستبعد النواحي المنفرة كالختان والطقوس المرهقة؛ ولم تكن الديانة اليهودية تشتمل على شيء من الأسرار الغامضة أو "التفكير الميتافيزيقي"، فكان بمقدور كل يهودي أن يفهمها (أنظر: رسل، 2010، ب، 39).

أما حكومة الكنيسة فقد تطورت بشكل بطيء خلال القرون الثلاثة الأولى، حيث غابت صورة الحكومة المركزية القائمة على الكنيسة بشكل شبه كلي، ثم تسارع تطورها بعد اعتناق قسطنطين (272–337) للمسيحية، وقد أمر بعقد "المجمع المسكوني" في نيقيا، وأن يؤخذ بوجهة النظر الأرثوذكسية، وقد استمر الوضع على منواله حتى انقسم الشرق والغرب، ورفض الشرقيون الاعتراف بسلطة البابا (أنظر: رسل، 2010، ب، 43–44).

- **تعقيب:**

إن أهمية الفكر الفلسفي والاجتماعي اليوناني القديم، جاءت نتيجة لنمط الحياة العقلية التي سادت العصور القديمة، وسمحت بدراسة وتحليل النظم السياسية والاجتماعية والدينية، لتزرع بذور العديد من النظريات الاجتماعية المعاصرة. فقد حملت آراء هرقليطس تأثيراً في أصحاب نظريات التغير والصراع، نتيجة تأكيده على فكرة التغير المستمر، أما السفسطائية فعبّرت عن العديد من التصورات الاجتماعية التي صاغها علماء الاجتماع فيما بعد، إلا أن الفلسفة الاجتماعية لكل من أفلاطون وأرسطو كانت الأبرز، خاصة من خلال كتابيهما "الجمهورية" و"السياسة"، اللذان حملا خلاصة أفكارهما الاجتماعية، وهذا ما جعل الكثيرين يصفون الفكر اليوناني بأنه وضع أسساً للعديد من نظريات علم الاجتماع الحديث والمعاصر.

سابعاً– التفكير الاجتماعي في العصور الأوروبية الوسطى:

تمتد العصور الأوربية الوسطى لما يزيد عن الألف عام، منذ القرن الرابع ميلادي وحتى القرن الخامس عشر، وهي فترة استمدت أصولها من ثلاث مصادر: "الحضارة اليونانية، والحضارة الرومانية، والمسيحية"؛ ولعل أبرز ما ميز تلك الحقبة هو "سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية (476م)" وظهور دويلات وممالك أقيمت على أنقاضها، ونزوح العناصر البربرية إلى جوف أوروبا،

إضافة لظهور الإقطاع والملكية المستبدة والحروب الصليبية، وانتهاء بالصراع بين البابوية والإمبراطورية (أنظر: الطبري، 2015، www.civgrds.com).

برزت في تلك الحقبة، بحسب الطبري، ثلاث مجتمعات كبرى هي:

- **المجتمع البيزنطي الأرثوذكسي:** ورث الجانب الشرقي من الإمبراطورية الرومانية وكانت عاصمته القسطنطينية.
- **المجتمع الأوربي الكاثوليكي (الإمبراطورية الرومانية الغربية):** اشتمل على مواطني الإمبراطورية الرومانية، والعناصر الجرمانية (البربرية) التي وفدت إليه على شكل هجرات أو غزوات، وكانت إحدى أدوات الانتقال من العصور القديمة إلى العصور الوسطى المبكرة. وقد اعتنق المجتمع الوليد المذهب الكاثوليكي، بعد أن أسس عدة ممالك (الفرنجة، القوط، الوندال)، ومنذ أن انتقل مركز الحكم من روما إلى القسطنطينية، لم يجلس على عرش أوروبا إمبراطور روماني قط، فيما انتقلت المقاليد السياسية والدينية إلى أسقف روما.
- **المجتمع الإسلامي:** استمد حضارته من الشريعة الإسلامية، وقادته الفتوحات للتوسع والامتداد من الصين إلى الأندلس، بعد أن انتزعت الدولة الأموية بلاد الشام وشمال إفريقيا من سيطرة الإمبراطورية الرومانية الشرقية، وقد شهد في تلك الفترة نهضة علمية وفكرية عظيمة امتدت بين القرنين الثامن والخامس عشر (العصر الذهبي للإسلام).

أما الفلسفة التي سادت أوروبا تلك الفترة فهي الكاثوليكية، وقد امتدت من زمن أوغسطين Saint Augustin (354–430) إلى النهضة، وكان ثمة فلاسفة ينتمون لتلك الفلسفة قبل هذه الفترة وبعدها؛ فقبل أوغسطين كان "الآباء" الأولون، وبعد النهضة هناك أتباع توما الأكويني؛ إلا أن فترة أوغسطين–النهضة انفردت بكونها أقامت البناء الكاثوليكي أو أصلحته، كما برزت فيها قوة الكنيسة كنظام اجتماعي قائم على العقيدة، فكان لابد لها من مقاومة التقاليد الرومانية والجرمانية، فقوي الولاء الثنائي لله ولقيصر (الكنيسة والدولة) (أنظر: رسل، 2010، ب، 11).

- **المجتمع البيزنطي الأرثوذكسي:**

كان العصر الأول للمسيحية هو "عصر الرهبان" (بيشوب، 2005، 16). ومن الشرق، خاصة مصر، تمت استعارة النظم الديرية؛ الأمر الذي شجع على حياة التنسك والزهد، وفي الفترة ما بين القرنين الـ 6 و الـ 10 الميلاديين، وهي فترة الركود الاقتصادي الذي أعقب سقوط روما، بسط الرهبان هيمنتهم على العالم الغربي بأكمله، وشجعوا على إقامة "الأعمال التبشيرية"، مما أدى لقيام الكثير من المؤسسات الكنسية وتصاعد رحلات الحج إلى الأماكن المقدسة، كما تم وضع "القانون الخاص

بالتكفير عن الذنوب والآثام"، كالضرب بالسياط أو السكين لنسيان واجب ديني (بيشوب، 2005، 17).

قبل ذلك، لم يكن الفكر السياسي الروماني يقبل مطلقاً بوجود كيان مستقل عن سلطة الإمبراطور، فهو "الكاهن الأعظم" وصاحب السلطة المطلقة في دولته (عبد الحميد، 2002، 14). الأمر الذي جعل الأباطرة يتعرضون للمسيحيين بشتى ضروب الاضطهاد حتى منتصف القرن الثالث؛ إلى أن جاء الإمبراطور قسطنطين (272–337)، وأعلن سياسيته التسامحية مع المسيحية مما جعل بعضهم يعدّه "الحواري الثالث عشر للمسيح"، وكنتيجة لهذا التزاوج بين الدولة والكنيسة، وبدلاً من أن يكون الإمبراطور هو "الكاهن الأعظم"، فقد بات هو "الأسقف الأعلى"، وممثل الله على الأرض (عبد الحميد، 2002، 15).

مهدت سياسات قسطنطين بذلك لسنة "القيصرية البابوية" التي انتقلت لخلفائه من بعده، والتي ثبّت دعائمها الإمبراطور جوستنيان Justinian (483–565) في تشريعاته، لتمسي الكنيسة دائرة من دوائر الدولة الحكومية، يعين الإمبراطور أساقفتها ويعزلهم ويدعو لعقد المجامع المسكونية ويترأسها؛ وطوال 1100 سنة، هي عمر الإمبراطورية الرومانية في ثيابها البيزنطية، لم ترفع الكنيسة رأسها لمعارضة الإمبراطور (أنظر: عبد الحميد، 2002، 16–17).

- **المجتمع الأوربي الكاثوليكي:**

في النصف الغربي من الإمبراطورية الرومانية، قام عالم بعيد عن القسطنطينية التي صهرت في بوتقتها عناصر التراث اليوناني والروماني والمشرقي والمسيحي، بينما اختلط الغرب بتراثه اللاتيني وبالغزوات الجرمانية والشمالية، مما خلق ثقافة وحضارة واتجاهاً عقيدياً مغايراً، فاحتل الغرب المرتبة الثانية في اهتمام الأباطرة، وخلت ساحته من شخصية سياسية قوية وقادرة على ضبط شؤونه، فانصرف أباطرته إلى ميلانو أو رافنا بعد أن فقدت روما سحرها القديم كمدينة للخلود؛ فاستبيحت من قبل القوط والوندال عامي 410 و 455 على التوالي.

نتيجة تردي الوضع السياسي، التف الناس حول الكنيسة، حيث تولت البابوية في كثير من الأحيان مسؤوليات الدولة، فأقامت المشروعات الزراعية وأثبتت حضورها كمنافس للكنيسة الشرقية، وبينما كانت روما في القرن الخامس تمثل "جزيرة الكاثوليكية"، تغير الوضع مع القرن السادس بتحول الفرنجة والقوط الغربيين إلى الكاثوليكية؛ ومع استمرار العداء بين البابوية والقسطنطينية، أقدم البابا ليو الثالث Leo III في ليلة الميلاد لعام 800 ميلادي، بتتويج ملك الفرنجة "شارل العظيم"

Charlemagne (742–814)، إمبراطوراً في الغرب، شرط الوقوف عند سلطانه الدنيوي وعدم التدخل في الشؤون الكنسية (أنظر: عبد الحميد، 2002، 22–23).

شكّل تتويج شارل العظيم نقطة فاصلة على طريق السمو البابوي، الذي انتهى لاحقاً، نتيجة ضعف الإمبراطورية، بإعلان الكنيسة نفسها في القرن الـ 12 صاحبة حق السيادة على العالم ديناً ودنيا، وبشكل تدريجي ابتعلت الكنيسة الدولة على طريقة "مدينة الله" عند أوغسطين، فالبابا هو الناطق بلسان "القديس بطرس"* ومنه يستمد سلطانه في السماء وعلى الأرض (أنظر: عبد الحميد، 2002، 32).

هذا السمو البابوي لم يكن تقبله هيناً على ملوك أوروبا عموماً وألمانيا خصوصاً، خاصة بعد أن حملوا لقب "أباطرة الرومان"، فرغبوا في الإصلاح الكنسي، أي أن يتم اختيار البابوات من قبل الأباطرة؛ إلا أن البابوية كانت الأقوى نفوذاً، واستطاعت فيما بعد أن تحمل أوروبا طائعة لتلبية نداء "الخروج لحمل الصليب" الذي أذاعه البابا أوربان الثاني Urban II (1042–1099) (عبد الحميد، 2002، 42). ومنذ منتصف القرن الـ 12 استُبدل لقب "نائب بطرس" بلقب "نائب المسيح"، كدلالة على قوة البابوية وفعالية تأثيرها (عبد الحميد، 2002، 51).

إلا أن تلك الألقاب المقدسة لم تنعكس على المهام الروحية والرعوية للكنيسة الكاثوليكية، التي هدفت للسيادة الزمنية على العالم المسيحي، وقد حققت بموجب ذلك سلسلة جيدة من النجاحات، فقادت أوروبا لحرب المسلمين تحت راية الصليب، وتمكن جنودها مطلع القرن الـ 13 من إسقاط القسطنطينية (العام 1204 تحديداً) ، وكانت المدينة تمثل درع المسيحية في الشرق وحامية الأرثوذكسية، الأمر الذي اعتبرته البابوية فتحاً عظيماً ونصراً لها على "إمبراطورية منحرفة وكنيسة ضالة" (عبد الحميد، 2002، 151). غير أن رياح النصف الثاني من القرن نفسه، حملت لها نذير كوارث متتالية على نفوذها في الشرق المسيحي والشرق الإسلامي، حيث لقي الملك والقديس الفرنسي لويس التاسع Louis IX (1214–1270)، هزائم متتالية في بلاد الشام ومصر عام 1250، ثم فقدت الكنيسة عام 1261 سيادتها على القسطنطينية، كما استرد المسلمون بقيادة الظاهر بيبرس (سلطان مصر المملوكي) إمارة أنطاكية الصليبية، فلم يبق للغرب اللاتيني في الشرق سوى طرابلس وبعض القلاع (أنظر: عبد الحميد، 2002، 151).

* القديس بطرس: هو أول البابوات ورأس الكنيسة المسيحية على الأرض، وهو خليفة بطرس (تلميذ السيد المسيح)، وأداة الرب الذي اختارته السماء ليقر العدالة على الأرض.

لعبت البابوية دوراً هاماً في التحالفات والخصومات السياسية، فتحالفت مع المدن الإيطالية، وتخاصمت مع القسطنطينية، وارتبطت بعلاقات متقلبة مع الملوك الألمان، ونتيجة لتوسع النفوذ الزمني للكنيسة ورغبتها بحكم المدن الإيطالية، بدأت أواخر القرن الـ 12 ومطلع الـ 13 عدة جبهات مناهضة لها. فرأى المؤرخ دينو كومباني Compagni (1255–1324)، أن حكم الإمبراطور هو "الأعدل" (سكنر، 2012، 62). أما الشاعر الإيطالي دانتي أليغييري Alighieri (1265–1321، صاحب "الكوميديا الإلهية"، فقدم الدعم الكامل للإمبراطور الذي سيجلب مزيداً من العدل والحرية، مؤكداً على إعادة توليد الدين في القلب (أنظر: سكنر، 2012، 63). وذهب مارسيليو Marsiglio (1275–1342) إلى أن حكام الكنيسة أساؤوا فهم طبيعتها، فهي لا تسمح بأي سلطة قمعية، داعياً لتحويل السلطات العليا من البابوية إلى "المشرع الإنساني المخلص" (سكنر، 2012، 69). وعليه، بدأت القوى المتحالفة مع الإمبراطور (حكم الدولة الزمني)، تُشكل جبهة مناوئة لحكم البابوية (حكم الكنيسة)، وهي القوى التي رفعت شعار "ما لله لله، وما لقيصر لقيصر"، وهو الشعار الذي سيتردد صداه لاحقاً عبر حركات الإصلاح الديني التي ناضلت لفصل الدين عن الدولة.

- **التفكير الاجتماعي:**

تسيّد القديس أوغسطين الفترة العظيمة الأولى من تاريخ الفلسفة الكاثوليكية، فكان خليفة لأفلاطون الذي ساد بين الوثنيين؛ حيث سعى من خلال مؤلفه إلى تشبيه الكنيسة بـ "مدينة الله"، جاعلاً للفلاسفة مهمة حفظ مصالحها عبر دفاعهم عن العقيدة الدينية، لكن هذا البناء المصطبغ بالكمال بدأ بالإنهيار وقاد لإنهاء العصور الوسطى بدءاً من القرن الـ 13. وذلك بعد أن تأسست طبقة تجارية غنية وازت رجال الدين ذكاءً وعلماً، مما عزز "الاتجاهات الديمقراطية" والإصلاحية، وبعد المساعدة التي قدمها التجار لبابا الكنيسة في هزيمة الإمبراطور، أخذوا يعملون على تحرير الحياة الاقتصادية من رقابة الكنيسة؛ وفي المقابل تمكنت الملكيّات القومية في فرنسا وإنجلترا واسبانيا، بعد منتصف القرن الـ 15، من محاربة البابا بعد تحالفهم مع التجار ضد الأرستقراطية، وبهذا حطمت "النهضة والإصلاح الديني" بناء العصور الوسطى (رسل، 2010، ب، 9).

أما أبرز مفكري تلك الحقبة فهم:

1- أساتذة الكنيسة الغربية:

اعتُبر أوغسطين مع ثلاثة آخرين بأنهم أساتذة الكنيسة الغربية، وهم: القديس أمبروز Ambrosius (حدد لرجال الدين فكرتهم عن العلاقة بين الكنيسة والدولة)، والقديس جيروم

Jerome (قدم للكنيسة الغربية إنجيلها اللاتيني وكان محفزاً نحو الرهبنة في الأديرة)، والبابا غريغوري الأعظم Gregory (أنظر: رسل، 2010، ب، 54).

2- أوغسطين:

كتب أوغسطين مؤلفه "مدينة الله" في واحد من أقسى العصور، حيث استولى الأريك Alaric على روما، فكان لسقوطها أثر عميق في نفوس الذين عرفوها وخبروا ثقافتها وعلمها؛ فتأثر أوغسطين بهذا الموقف وأخذ على عاتقه تدوين الحوادث الدامية في مؤلفه المذكور في صورة جامعة للحضارة القديمة مع تاريخ روما، مورداً عدداً من الأفكار والتحليلات القضائية والاجتماعية، كما عالج فيه مسائل الحق الطبيعي والحق الإلهي وشرعية السلطات السياسية والدينية والنزعة الإنسانية والعدالة الاجتماعية.

تتضح مثالية "مدينة الله" من خلال التعارض القائم بين مدينتي الله والإنسان، أي بين التفاني في حب الله واحتقار الذات من جهة، وعبادة الشهوة وحب الحياة من جهة أخرى؛ حيث يعدّ هذا المؤلف نقطة انتقال بين الحكمة القديمة والحكمة الجديدة، وكيفية الانتقال من الحضارة القديمة إلى الحضارة المسيحية (أنظر: بوتول، د.ت.ن، 19-20).

على الرغم من قلة الأفكار الاجتماعية الواردة في مؤلفات تلك الحقبة الزمنية، إلا أنه من الممكن التمييز بين اتجاهيين أساسيين هما:

1- اتجاه أوغسطين: ركز على الفارق الواضح بين العالمين الروحي والزمني.

2- اتجاه متأرجح بين آراء أوغسطين الحرة وبين الالتزامات الأرستقراطية التي كان يفرضها النظام الإقطاعي، كتحريم زواج القساوسة منعاً لتشكيل طائفة كنسية كما في الهند أو مصر القديمة؛ مع انتشار النزعة الوجدانية (أنظر: بوتول، د.ت.ن، 21).

وكان أوغسطين قد رفض انتهاك عذرية النساء بغير ذنب، معتبراً أن شهوة الغير لا تصيب بالدنس، وأن العفاف فضيلة يتحلى بها العقل ولا يزيلها انتهاك الجسد (أنظر: رسل، 2010، ب، 84). ومن خلال عرضه لأفلاطون نجد أنه وضعه في صدارة الفلاسفة، كونه رأى أن "الله لم يكن مادياً" وبأن "الإدراك الحسي ليس مصدراً للحقيقة"، فالأفلاطونيون برأيه هم خير الفلاسفة في المنطق والأخلاق، وهم الأقرب إلى المسيحية (رسل، 2010، ب، 86).

اهتم أوغسطين أيضاً بالمواضيع الأسرية والعائلية وعلاقات الأزواج، فأجاز الاتصال الجنسي في الزواج شريطة أن يقتصر على الرغبة بالإنجاب، وأن يتم "بغير شهوة" (رسل، 2010، ب، 88). وعلى الرغم من غرابة بعض أفكاره إلا أنه أدان التعذيب في المحاكمات.

أما بما يتعلق بالحكم والسياسة، فقد كان لأفكاره دور مهم في توسيع نفوذ السلطة البابوية، نظراً لتأكيده على ضرورة إخضاع الدولة للكنيسة.

3- التطورات بعد أوغسطين:

شهد القرن الخامس تطورات وتقلبات سياسية مهمة للغاية، أعادت رسم خارطة أوروبا الغربية لقرون قادمة، حيث توسع البرابرة في مناطق عديدة وسقطت الإمبراطورية الغربية؛ وأمام كل تلك الاضطرابات والتحولات السياسية والاجتماعية، غابت الفلسفة بشكل شبه كلي بعد وفاة أغسطين.

ومن أبرز أحداث تلك الفترة هي غزو الإنجليز لبريطانيا جاعلين منها إنجلترا (أرض الإنجليز)، وغزو الفرنكيين بلاد الغال جاعلين منها فرنسا، وغزو الواندال لإسبانيا جاعلين منها واندالوسيا (حول العرب اسمها إلى الأندلس)، وهكذا زالت الحكومة المركزية التي سادت الإمبراطورية ولم يعد ثمة إمبراطور، كما أُهملت الطرق فتقطعت وانحسرت الحياة في حدود إقليمية ضيقة سياسياً واقتصادياً (أنظر: رسل، 2010، ب، 99). أما على الصعيد الديني فقد اضطربت الكنيسة ودار الجدل حول مسألة "التجسيد" (العلاقة بين إلهية المسيح وإنسانيته)، بين كيرلس (بطرك الإسكندرية) ونسطوريوس (بطرك القسطنطينية) (رسل، 2010، ب، 100). وهي واحدة من المسائل التي ثبّتت الافتراق الأبدي بين الكنائس المسيحة منذ ذلك الوقت وحتى يومنا هذا.

4- توما الأكويني Thomas Aquinas (1225-1274):

صاحب مؤلف "حكومة الأمراء" الذي عكس الصراع بين البابوية والأباطرة، وقد نظر إلى المجتمع باعتباره مجموعة من الأفراد المرتبطين بـ "المعاشرة المشتركة والخضوع المشترك لمجموعة من القوانين"، كما أقر الملكية الخاصة إلا في فترات الفقر فتتحول إلى ملكية عامة، واعترف بظاهرة الرق وسلم بها نتيجة دورها الاجتماعي، متفقاً بذلك مع أوغسطين (أنظر: والي، 2006/2005، 142).

ثامناً- أثر المنطق القديم على تفكير القرون الوسطى:

يعدّ الإرث الفكري لكل من أفلاطون وأرسطو إرثاً عميقاً ومتجذراً في الوجدان الإنساني؛ حيث تعدّ محاورة "فيدون" واحدة من أبرز محاورات أفلاطون، وهي التي وصف فيها اللحظات الأخيرة من حياة سقراط (قبيل شربه السم وبعده) بوصفه الرجل الأمثل؛ إذ لطالما اكتسبت مواجهة سقراط للموت بعداً أخلاقياً في العصور القديمة والحديثة على السواء؛ فمكانة ماورد في الكتاب المقدس حول "العاطفة" و"الصلب" عند المسيحيين، هي نفسها مكانة محاورة "فيدون" عند الفلاسفة الوثنيين، إذ أنها لا تقتصر على تصوير بطل شهيد ساعة موته وحسب، بل تضيف إلى ذلك شرحاً لمذاهب كثيرة،

أصبحت فيما بعد جزءاً من العقيدة المسيحية، حتى أن القديس بولس والآباء استمدوا معظم لاهوتهم منها، إن بشكل مباشر أو غير مباشر، "ونكاد لا نفهم هذا اللاهوت إذا غضضنا الطرف عن أفلاطون" (رسل، 2010، أ، 223). ونتيجة هذا التأثير فقد أطلق آباء الكنيسة على سقراط وأفلاطون وأرسطو لقب "الوثنيين الفاضلين" (Gratias, 2020, www.socratesjourney.org).

تبرز شخصية سقراط المثالية إلى جانب شخصية السيد المسيح، كرمزين للتضحية الخالدة وبذل النفس، ونتيجة لحجم التأثير الذي خلّفه أفلاطون في كتب أساتذة اللاهوت ومؤلفاته، فقد حافظت ثنائية سقراط–المسيح على زخمها المستمر منذ قرون. فموت سقراط لا يفوقه أثراً إلا موت المسيح، يقول بنيامين جووت: "إنك لن تصادف شيئاً في أية مأساة، قديمة أو حديثة، ولا شيئاً في الشعر أو في التاريخ (...) تشبه الساعات الأخيرة من حياة سقراط كما صورها أفلاطون" (رسل، 2010، أ، 237).

تاسعاً– النتائج:

أثر الفكر اليوناني القديم على مجمل الفكر الإنساني في الشرق والغرب، وبالرغم من النظرة الشمولية لهذا الفكر إلا أنه عاد فتفرع عنه العديد من التخصصات، وهي النظرة التي يتم تبنيها اليوم، مع ذلك فإن تأثير الفلسفة القديمة يستمر بالتأثير على الفكر الحديث بطرق هائلة، وعليه يمكن استخلاص النتائج التالية:

1– الفكر الإنساني حلقة ممتدة منذ مئات السنين، فقد ساهم الفلاسفة قبل سقراط بوضع عدد من المفاهيم المركزية للحضارة الغربية، كالطبيعية والعقلانية، كما أسس السفسطائيون التفكير الفلسفي والنسبية الفلسفية.

2– يعدّ سقراط العراب الأول للفلسفة الاجتماعية، حيث قامت أفكاره على تحقيق رفاهية المجتمع، وكان أول من جرب تأسيس نظام أخلاقي يقوم على العقل بدلاً من العقيدة اللاهوتية.

3– أمضى سقراط حياته في طرح الأسئلة بحثاً عن الحقيقة، وتعد "الطريقة السقراطية" واحدة من أهم أدوات التفكير النقدي البعيد عن التلقين.

4– أعطى أفلاطون فكرة العدالة بعداً محورياً في فلسفته الاجتماعية، معتبراً أنها فضيلة إنسانية ذات بعد نفسي مهم، كونها تجعل الإنسان متصالحاً مع ذاته ومجتمعه.

5– انتقد أفلاطون الديمقراطية الأثينية وحدد عدداً من مشاكلها الحقيقية التي لا تزال قائمة حتى اليوم، فالديمقراطية لا تحمي من الصراع بل إنها قد تقود إليه، وهذا يتطابق إلى حدّ بعيد مع أفكار عدد من التيارات السياسية والاجتماعية الحالية.

6- حاول أرسطو إيجاد توازن بين داخل المجتمع كي تعم السعادة على الجميع، وهي واحدة من الأفكار التي لا تزال محل جدل حتى يومنا هذا.

7- أخيراً، إن الابتعاد عن المعتقدات الأسطورية والجنوح نحو العقل هي الميزة الأكثر جوهرية في الفلسفة اليونانية القديمة، والتي أثرت في مختلف نظريات العلم والمعرفة: في التعليم، والسياسة، وعلم الاجتماع.

- **خاتمة:**

إن الصراع الفكري القديم، المتمثل بأفلاطون من جهة، وأرسطو من جهة أخرى؛ تمخض عنه عدد من الجدالات الفكرية والسلوكية: جدل الأرض مقابل السماء، التعليم العام مقابل الأكاديمية الخاصة، السياسة مقابل الجمهورية، الحرية مقابل الإنضباط. وقد تسللت تلك الجدالات فيما بعد إلى معظم التراث الفكري الإنساني.

إن كلاً من سقراط، أفلاطون وأرسطو (الوثنيين الفاضليين)، لا يزالون على قيد الحياة حتى اليوم، فهم واضعوا أسس الثقافة الغربية، ولا تزال مواقفهم ونظرياتهم تشكل جزءاً كبيراً من الواقع الذي نعيش فيه، خاصة فيما يتعلق بالنظرة الثنائية إلى الأشياء: الخارج والباطن، السماء والأرض، العلوي والسفلي، الروح والجسد، المادي والمثالي، فجميع تلك الثنائيات هي نتاج عالم أفلاطون المتسامي، وعالم أرسطو الواقعي، أي نتاج نظرتين مختلفتين إلى الحياة.

أثر أفلاطون بأولئك المجتهدين للوصول إلى الحقائق الروحية، ابتداء بمتصوفي العصور الوسطى وليس انتهاء بالفنانيين والموسيقيين والمسرحيين المعاصرين، فلا تزال عبارة "الحب الأفلاطوني" على سبيل المثال، إحدى العبارات الشائعة التي لا تغيب عن أسماعنا. وفي مقابل هذا الخيال الأفلاطوني، يعدّ أرسطو أباً للعلوم الغربية الحديثة، وأنموذجاً للتفكير المنطقي الواقعي.

وأمام كلا الموقفين، ارتسم تاريخ الحضارة الغربية بوصفه حالة من الصراع بين طريقتين لرؤية العالم والكون والإنسان، وقد شبه أحدهم الموقف الأرسطي بأنه يمثل اليوم أصحاب مشاريع تطوير التطبيقات والمشاريع التكنولوجية كالتجارة الالكترونية (على غرار كتاب السياسة)، فيما يدافع أصحاب الموقف الأفلاطوني عن البيئة والأوزون والكوكب، للوصول إلى عالمهم المثالي (على غرار كتاب الجمهورية).

المراجع العربية

1- برتراند، ر. (2010). تاريخ الفلسفة الغربية "الكتاب الأول: الفلسفة القديمة". ترجمة: زكي نجيب محمود. القاهرة: مصر. الهيئة المصرية العامة للكتاب. 2010.

2- برتراند رسل، تاريخ الفلسفة الغربية، الكتاب الثاني: الفلسفة الكاثوليكية، ترجمة زكي نجيب محمود، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2010.

3- ولتر ستيس، تاريخ الفسفة اليونانية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1984.

4- عبد الرحمن بن غالب عواجي، السفسطائية وأثرها في نشأة مدارس الشك، د.م.ن، مركز دلائل، سلسلة أطروحات فكرية، عدد 15، 2017.

5- جاستون بوتول، تاريخ علم الاجتماع، ترجمة غنيم عبدون، د.م.ن، الدار القومية للطباعة والنشر، د.ت.ن.

6- محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي "أرسطو والمدارس المتأخرة،" ج 2، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ب.ت.ن.

7- موريس بيشوب، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة علي السيد علي، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2005.

8- رأفت عبد الحميد، الفكر السياسي الأوربي في العصور الوسطى، القاهرة، دار قباء، 2002.

9- كوينتن سكنر، أسس الفكر السياسي الحديث "عصر النهضة"، ج 1، ترجمة حيدر حاج اسماعيل، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2012.

10- عبد الهادي محمد والي، تاريخ التفكير الاجتماعي، ب.م.ن، منتدى سور الأزبكية، 2006/2005.

11- لجينة نبهان، السفسطائيون.. بين الحقيقة والتضليل، جريدة رأي اليوم، 30 أيار 2017، www.raialyoum.com.

12- محمد سالم الطبري، بداية العصور الوسطى، سيفجردز للتاريخ والآثار، 2015، www.civgrds.com.

المراجع الأجنبية

1- Bhattacharya, Ramkrishna. 'Why Do You Study Ancient Philosophy?', https://www.academia.edu/13063286/Why_Do_You_Study_Ancient_Philosophy_

2- Duignan, Brian. "Plato and Aristotle: How Do They Differ?". Encyclopedia Britannica, Invalid Date, https://www.britannica.com/story/plato-and-aristotle-how-do-they-differ.

3- Chaliakopoulos, Antonis. Thales Of Miletus: The Father Of Western Philosophy (Facts & Bio), Mar 22, 2021, https://www.thecollector.com/thales-miletus/

4- Graham, Daniel W. Heraclitus, 2007, Stanford Encyclopedia of Philosophy, https://plato.stanford.edu/entries/heraclitus/

5- Kingsley, K. Scarlett. Empedocles, 2019, Stanford Encyclopedia of Philosophy, https://plato.stanford.edu/entries/empedocles/

6- Gratias, Deo. Socrates and Jesus Compared, 2020, https://socratesjourney.org/socrates-and-jesus-compared/